بطولات الفرقة الثانية مشاة :

المبادأة والمفاجأة كانت هي شعار الفرقة الثانية مشاة ، وكانت هذه الفرقة تشغل أهم مواقع المعركة والتي كانت تُعرف "بِسُرَّةِ المعركة" حيث كانت الفرقة الثانية مشاة تواجه المنطقة الوسطى من خط بارليف التي كانت تتكون من خمس نقاط حصينة للعدو ، كما كانت تواجه أعلى ساتر ترابي على الجبهة إذ بلغ ارتفاعه ٣٢ مترًا ، وكانت هذه الفرقة تحمي مدينة الإسماعيلية مباشرةً ، إذ أن العدو إذا نفذ من منطقتها سيصل إلى مقر قيادة الجيش الثاني الميداني بالإسماعيلية ، وكان العدو الإسرائيلي المواجه لهذه الفرقة شرسًا قوي التجهيز ، إنه القائد الإسرائيلي الشهير "شارون" الذي عُرف بتهوره الشديد ووحشيته وتطلعاته الكبيرة .

وكانت هذه الفرقة تحت قيادة البطل المصري العميد / حسن أبوسعدة وكانت قدرة وإمكانية الفرقة على مثل ما كانت عليه إمكانيات قائدها ، فقد كانت عالية التدريب إلى أقصى حدٍّ .. تذخر بعددٍ كبير من أفذاذ المقاتلين الذين امتازوا بكفاءة عالية وقدرة قتالية وشجاعة منقطعة النظير حتى أذهلوا العالم !!

ومنذ اللحظات الأولى للمعركة وقف العميد / حسن أبوسعدة في وسط رجاله ينتظر ساعة الصفر بالهجوم حيث انطلقت الطائرات المصرية والمدفعية المصرية في الثانية وخمس دقائق بعد ظهر يوم السبت السادس من أكتوبر ٧٣ (سعت ١٤٠٥) ، وجاءت الإشارة لقواتنا البرية لتعبر أولى موجات العبور في الثانية والثُلث بعد الظهر (سعت ١٤٢٠)

وانطلق جند الفرقة الثانية ليسقط أول حصن من الحصون الخمسة التي كانت في مواجهتها بعد ٤٠ دقيقة من بدء القتال ، والثاني بعده بساعتين ، والثالث أثناء الليل ، أما الحصنان الآخران فقد ضربتهما المدفعية المصرية ، وأعقب ذلك أن حاصرهما رجال الفرقة الثانية مشاة حتى تم فتحهما ، ثم تقدم رجال الفرقة الثانية خلال نصف ساعة لتتوغل إلى عمق ٣ كم داخل خطوط العدو .

وبعد ساعتين من العبور وقبل وصول الدبابات المصرية بسبع ساعات ونصف يجري العميد / حسن أبوسعدة اتصالاً تليفونيًا باللواء / سعد مأمون قائد الجيش الثاني الميداني يخبره أنه نجح في إبادة كتيبة دبابات نمحلية للعدو بالكامل على يدي المشاة القناصة الذين استحقوا ببراعتهم وكفاءتهم العالية وشجاعتهم الفذة لقب "أكلة الدبابات" ..

ونجحت قواتنا في إحداث فتحة في الساتر الترابي المقابل لهذه الفرقة ، ليقام الكوبري الأول أمامها في تمام الساعة العاشرة مساءً لتندفع الدبابات المصرية في القطاع الأوسط لتعزز المشاة الذين واجهوا الدبابات المعادية في اللحظات الأولى من العبور . ولما وجد العدو الدبابات المصرية تعبر في القطاع الأوسط ضاعف من الهجوم المضاد لكن أبطال الفرقة الثانية مشاة كانوا لها بالمرصاد ففي صباح يوم ١٧ أكتوبر نجحت الفرقة الثانية في تدمير اللواء الإسرائيلي المدرع التابع لمجموعة احتياطي شارون التعبوية الذي تقدَّم من الشرق لنجدة قواتهم المنكوبة في خط بارليف والتصدي للهجوم المصري المتقدم الذي استطاع أن يصل إلى عمق ١٠ ــ ٢٠ كم شرق القناة

وفي المنطقة المقررة لفتح الفرقة الثانية من القطاع الشمـــالي كانت تتقدم الفرقة الثانية مشاة تدعِّم مواقعها وتكسب أرضًا جديدة ، وكان القائد العميد / حسن أبوسعدة يعلم جيدًا أن العدو لابد وأن يعد لهجوم مضاد كبير بعد فشل الهجمات المضادة السابقة فعكف على دراسة أرض المعركة ودفع بعناصر استطلاع ودرس تقارير تلك العناصر التي تتحرك في عمق وخلـــف خطوط العدو ..

وفي يوم ٨ أكتوبر ضاعف العدو من تحديه للقوات المصرية في هذا القطاع فأرسل سرية دبابات لتهاجم الجانب الأيسر للفرقـــة الثانيـــة تمـــت إبادتها بالكامل ، واتبعها العدو بسرية دبابات أخرى تهاجم الجانب الأيســـر أيضًا في نفس اليوم في تمام الساعة الحادية عشر مساءً ، فتصـــدت لهـــا قوات الفرقة الثانية وتـــم تدمير ســـت دبابات منهـــا وفـــرَّت أربع منهـــا

ثم قام العميد / أبوسعدة دوريات استطلاع للبحث عن وجود قوات أخرى للعدو فاستطلعت وجود ٧٠ ــ ٩٠ دبابة إسرائيلية تقف في وضع الهجوم ، وفي الساعة ١٢ مساءً تلقَّى قائد الفرقة رسالة من المخابرات الحربية باستعداد القائد الإسرائيلي للهجوم بعد عشرين دقيقة وبعد ترجمة الشفرة وحلها في فترة لم تتجاوز عشر دقائق لتفيد بأن العدو يحشد اللواء ١٩٠المدرع بقوة ١١٠ دبابة غرب مضيق "الخاتمية" ، وكان هذا اللواء معد خصيصًا ومدرب جيدًا للدفاع عن الطرفين الوسط وقيادة شمال سيناء

وقد اختارت القيادة الإسرائيلية العقيد "عساف ياجوري" قائدًا لهذا اللواء حيث يسجل ملف خدمته كفاءة وموهبة وقدرة على قيادة مثل هذا اللواء المتميز ، وأنه اكتسب خبرات واسعة في حرب المدرعات بالصحراء كان آخرها الخبرة التي اكتسبها في حرب يونيو ٦٧ وبلغ من خبرته أنه وضع مؤلفات عدة في هذا المجال ..

وهكذا قد أَلَمَّ العميد أبوسعدة بكل شيءٍ عن هذا اللواء وقائده .. لقد كان القائد أبوسعدة يعيش معاركه مع العدو قبل أن يبدأ القتال بزمنٍ طويل .. لقد عاش فترة طويلة من قيادته يدرس ويتابع ويفكر ويدرِّب رجاله ويعدَّهم لملاقاة العدو في مثل تلك الظروف .. وبهدوء شديد تعكسه ابتسامة رقيقة كانت لا تفارق وجهه كان يضع الاحتمالات ويوازن الأمور والمستجدات ، وبنى خطته على أساس أن العدو سيحاول الوصول بأسرع وقتٍ ممكن إلى مياه القناة ليحدث ارتباكًا في القيادة المصرية المواجهة له ثم يستدير بعد ذلك ليواجه القوات المصرية من الخلف ، وكان على يقين أن هدف عدوه ليس الاشتباك في معركة مع قواته بل إصابة القيادة

المصرية المواجهة بالاضطراب وبث الفوضى في خطوط القوات المصرية .. إنه يريد الدعاية والطنطنة ورفع روح جيشه ومعنويات شعبه من أثر الصدمة الهائلة التي أحدثتها حرب الساعات الست في اليوم الأول للقتال .. لكن القائد المصري المحنك كان واعيًا تمامًا لهذا الأسلوب ، فقام باستحضار خطط العدو المحتملة وأفكاره ونواياه ، ووقف القائد حسن أبوسعدة والخرائط موضوعة أمامه في عربة القيادة المدرعة التي تعد هي غرفة عمليات القيادة ليعطي تعليماته لمرؤوسيه على ضوء طبيعة الأرض الرملية والكثبان الموجودة بها والتباب والهيئات الحاكمة والخيران .. يحدد لهم مناطق الاقتراب المحتملة وطرق الهجوم على أرض الواقع .. وكان العدو قبل ذلك يدفع مجموعات صغيرة من الدبابات إلى الجناح الأيسر للفرقة في عملية جس نبض ، فأمر العميد أبوسعدة بالتصدِّي لهذه المجموعات دون أن يقضي عليها بالكامل بما يوحي للعدو بأمرين :

الأول : أن القوات المصرية تتعامل مع هذه المجموعات على أنها الهجوم المضاد الرئيس ومعنى هذا أنها لا تتوقع هجومًا كبيرًا بعد ذلك .

الثاني : كانت تعليمات قائد الفرقة لرجاله بألاَّ يدمرها كلها حتى يعطي الإحساس بأن فرقته محدودة القوة والإمكانيات .

ويبدو أن العدو قد بلع الطعم الذي ألقاه القائد المصري ، وقام القائد الفذ بتوزيع أفراد فرقته في مواقعهم التي اختارها لهم بدقة بالغة تتماشى مع الخطة الموضوعة ، وقال لرجاله : " احبسوا نيرانكم وأنفاسكم .. اتركوا مدرعاتهم تتقدم حتى نأخذها بين أحضاننا !! " ، كما وضع بعض الدبابات

المصرية في حالة تربص حول منطقة القفل التي تم تجهيزها ووضع قوات دعم جاهزة للتدخل في حالة إذا ما غير العدو خطته المتوقعة .

وبدأ اللواء الإسرائيلي تقدمه ، حيث اندفعت ١١٥ دبابة إسرائيلية بسرعة ٤٠ كم / س ــ وهي سرعة كبيرة للمدرعات ــ في اتجاه كوبري "الفردان" بغرض الوصول إلى قناة السويس ، وعند منطقة الفتح (النقطة التي يبدأ منها الاستعداد لبدء الهجوم) انتشرت دباباتهم في نسقين رئيسين واحتياطي لهما ، النسق الأول على مواجهة طولية من الشمال إلى الجنوب غرب مضيق "الختمية" ، والنسق الثاني خلف النسق الأول بحوالي نصف كيلومترًا ، وبدأ العدو هجومه بعدد من الدبابات في الميمنة ، ثم هاجم بعددٍ آخر في الميسرة ، وكان تكتيك العدو في الهجوم محسوبًا بدقة .. يضرب من الميمنة والميسرة ، والظلام يسيطر على المعركة حتى يوهمنا أنه قد ركَّز على الجانبين حتى تتلاقى قواته بعد أن يكون قد نجح في شغل قواتنا وشدَّ انتباهها في هاذين الاتجاهين يعود ليقذف بكل ثقله في الوسط بعد أن تصبح الساحة أمامه خالية ..

وقابل القائد المصري هذا التكتيك بتكتيك آخر أشد إحكامًا وقوة وكان ترتيب القائد المصري أن المعركة سوف تحتدم في الوسط ، وهنا أصدر أوامره إلى المقدم / إبراهيم زيدان قائد كتيبة المقدمة ، قائلاً : " تظاهروا بالتراجع واتركوه يتوغل ، ثم أطلقوا عليه ! " ، فتراجع قائد كتيبة المقدمة فواصل العدو التقدم بسرعة كبيرة وكانت الكتيبة المصرية تضرب على الأجناب حتى لا تتفرق الدبابات الإسرائيلية إلى عدة طرق ، وتقدَّمت دبابات العدو واخترق صوت جنازيرها الهادرة آذان الرجال ودوَّت في

المنطقة نيران دبابات العدو وملأت الأتربة والرمال سماء المنطقة حتى تعذَّرت الرؤية لمن يتابع ، فتصور العدو أن المنطقة أصبحت خالية

قال قائد اللواء الإسرائيلي "عساف ياجوري" في نفسه : " لقد نجحت خطتنا تمامًا وأجهزت دباباتنا على المشاة المصريين الذين شلتهم المفاجأة فلم يستطيعوا الرد على نيراننا .. " ، ومرت لحظات أخرى والدبابات الإسرائيلية تواصل تقدُّمها الصاخب .. واتصل "عساف ياجوري" بقيادته ليخبرهم في فخرٍ شديدٍ : " لقد نجح لوائي .. وليس هناك عقبات من المصريين .. " ، وتجاوزت دبابات النسق الأول والثاني للعدو الحد الأمامي للقوات المصرية ، واستبد بالقائد الإسرائيلي الفرح فوجَّه إلى قواته التي في المقدمة كلمات التحية والتشجيع .. وواصلت الدبابات الإسرائيلية اندفاعها تتقدمها نيرانها وقطعت كيلومترًا والدبابات المصرية صامتة

وما إن دخلت الدبابات الإسرائيلية الكيلومتر الثاني حتى أصدر القائد حسن أبوسعدة أمره بفتح النيران من جميع الجهات على العدو .. لقد انفتح فجأة باب الجحيم .. ولقد دخلت الدبابات الإسرائيلية في أحضان القوات المصرية تعانقها بالقذائف الهادرة الغاضبة من كل اتجاه .. نيران من كل جانب .. سريعة غاضبة متواصلة أينما تحركت دبابة معادية كان في انتظارها مصدر نيراني .. النيران تتدفق من اليمين واليسار ، والأمام والخلف .. وحاولت دبابات العدو التراجع إلا أن دبابات المقدم / إبراهيم زيدان كانت تقصفهم من الخلف فأطبق الكمين عليهم وخلال ٢٠ دقيقة تم إبادة اللواء المعادي وخسر العدو ٧٣ دبابة واستولت القوات المصرية على

ثماني دبابات منها بحالتها سليمة وكان ذلك في تمام الساعة الواحدة ظهرًا

ويقول "جرانفيل واتس" المراسل الحربي لوكالة رويتر : " شاهدتُ بنفسي حطام الدبابات الإسرائيلية من طراز (سنتوريون) و(باتون) محترقة ومدمرة ومبعثرة على امتداد منطقة صحراوية واسعة كذكرى للمعارك التي تمثل انتصارات مصرية مبهرة .. ومن بينها تدمير اللواء الإسرائيلي ١٩٠ المدرع ، وأُسر قائده "عساف ياجوري" .

لقد كانت خطة العميد / حسن أبوسعدة ناجحة تمامًا وابتلع العدو الطعم الذي قدمته إليه قواتنا ونجحنا في استدراجه لتقع دبابات العدو بكاملها في منطقة القتل النيرانية المصرية .. ويقول المؤرخ العسكري المصري جمال حمَّاد في كتابه "المعارك الحربية على الجبهة المصرية" : " كان قائد الفرقة الثانية يعتبر أسلوبًا جديدًا في الحرب لتدمير العدو ، وهو جذب قواته المدرعة إلى أرض قتل داخل رأس كوبري الفرقة والسماح لها اختراق الموقع الدفاعي الأمامي والتقدَّم حتى مسافة ٣ كم من القناة ، وكان قرار قائد الفرقة الثانية مشاة خطيرًا وعلى مسئوليته الشخصية ، ولكن المفاجأة فيه كانت مذهلة مما ساعد على نجاح الخطة ..

ووُجِدَ "عساف ياجوري" نفسه في لحظات كعصفور صغير بين براثن أو أنياب قط فحاول أن يستدير بدبابته موليًا الأدبار .. لكن مجموعة من المقاتلين كانت ترصد دبابته .. فقد أدركت أنها دبابة القيادة من العلامات التي كانت تميِّزها .. ووسط بحار اللهب اقترب المقاتلون المصريون منها ، وفي لحظة مزقوها بقذيفة أشعلت في مقدمتها النيران .. وحاولت دبابة القيادة أن تكمل استدارتها لتتمكن من الهرب لكن محاولاته باءت بالفشل فقد اعترضت الطريق أمامها دبابة أخرى من نفس اللواء كانت تحترق وطاقمها يقفز أمامه مذعورًا فلم يجد بدًا من الفرار ، فقفز "عساف ياجوري" هو وطاقم دبابته وكان قد تأكد من هزيمة لوائه هزيمة ساحقة ، وأيقن بضعف موقفه .. وكانت المنطقة كلها تغطيها قصف مدفعي مركز يخطف ضوؤه الأبصار وتنتشر حوله الأدخنة والغبار ..

ودفع العميد / حسن أبوسعدة مفرزة من قواته لتأسر القائد المهزوم وكان قائد هذه المفرزة ضابط استطلاع مصري اسمه "نجيب" صدرت إليه الأوامر مجموعة من جنوده بتطوير الهجوم للاستيلاء على مركز قيادة العدو بكل وثائقه ، وأُسر القائد المهزوم "عساف ياجوري" والثلاثة الذين فرُّوا معه .. ويقول الضابط بخيت : " توجَّهتُ في اتجاه الأفراد الأربعة وكان معي مقاتل آخر اسمه "طلعت" حيث تحصَّن الأربعة في موقع بيننا وبينه منطقة نيران مكثَّفة يصعب اقتحامها .. وقاوم "عساف ياجوري" ومن معه بعنف مستخدمين الأسلحة الشخصية (رشاشات العوزي) للضرب على أي فرد يقتحم الموقع من الأجناب .. ففكرنا أنا وزميلي أن نواجهه من منطقة النيران المكثفة التي لا يتوقع العدو منها الهجوم ، وزحفنا ..

كان الضرب مركزًا من طلقات المدفعية والدبابات ، وبرغم ذلك تقدَّمنا إلى الموقع ونحن نختبئ بين الثنايا الأرضية ونقتحم النيران .. كنَّا نتقدَّم بين الدخان الأسود الذي يتصاعد من الانفجارات المتتالية والشظايا الملتهبة تحيل المكان إلى جهنم .. لكننا واصلنا زحفنا في هدوء وثقة والدخان الأسود يموِّه حركتنا .. وفي الساعة الخامسة مساءً دخل الظلام وما زلنا نتابع تقدُّمنا بحرصٍ حتى لا ينتبه الأفراد الأربعة .. وركبنا الموقع ، وأطبقنا عليهم ، وأمرناهم بالتسليم ..

وكانت المفاجأة شديدة وكأنما هبطنا عليهم من السماء .. وعلى الفور قاموا برفع أيديهم ورموا بأسلحتهم ، وتقدَّم أولهم صائحًا بلغة عربية صحيحة : " أنا عساف ياجوري قائد اللواء ١٩٠ مدرع ، إنني أطلب التسليم ، وأريد مقابلة قائدكم .. " ، واقتدناهم إلى مواقعنا .. ــ ويتابع الضابط "بخيت" كلامه ــ قائلاً : كان عساف طويلاً وممتلئ الجسم ، شعره ناعم غزير ، وسوالفه كبيرة ، ولم يكن على كتفيه رتب .. وكان في حالة يُرثى لها ، وكان منهارًا تمامًا لا يكف عن البكاء ، ويلح في مقابلة العميد / حسن أبوسعدة قائد الفرقة الثانية مشاة على انفراد ..

يقول العميد أبوسعدة : " وأحضروه إليَّ .. كان مازال يبكي في انهيارٍ كاملٍ .. حتى أنه يتحامل على اثنين من رجالنا قد خانته ساقاه .. عاملته كضابط برتبة كبيرة ، لكنني فُوجئتُ به ينهار انهيارًا تامًا ويجثو على ركبتيه ويسأل عن مصيره .. فأخبرته أننا شعبٌ متحضر لا نحارب حبًّا في الحرب أو رغبةً في العدوان ، لكن دفاعًا عن شرفنا وكرامتنا .. ثم طلب مني أن أسمح له بالاحتفاظ ببعض أوراقه الشخصية ومن بينها

صورة زوجته وأبنائه فسمحتُ له بذلك .. " ، وقال للضابط الذي اقتاده : " أعدك أنني حينما أرجع إلى بلادي سأستقيل من الجيش الإسرائيلي وأتفرغ لإدارة فندقي في ناتانيا (الفندق الأزرق) .. " ، وطلب أن يرى المقاتل المصري الذي دمَّر دبابته ، فأرسل العميد / حسن أبوسعدة يستدعي ذلك الجندي بمركز قيادة المعركة بالفرقة الثانية

العقيد عساف ياجوري قائد اللواء ١٩٠ مدرع في الأسر .

البطل المصرى أمام دبابة عساف ياجورى المدمرة و التى لا تزال موجودة فى الفردان

وكان هذا البطل المصري هو محمد المصري ، وما إن دخل الجندي محمد المصري مركز القيادة حتى صافحه العميد / حسن أبوسعدة وشدَّ على يديه قائلاً : " أهلاً يابطل .. معي شخصٌ يطلب رؤيتك . " ، فقال : " من هو يا فندم ؟ " ، وعلى الفور أشار العميد / حسن أبوسعدة إلى الشخص الجالس أمامه .. إنه "عساف ياجوري" قائد اللواء ١٩٠ مدرع إسرائيلي الذي وقع في الأسر . وحملق القائد الإسرائيلي في وجه الجندي ثم انصرف .. وهنا قال القائد المصري لمحمد المصري : " بعد أن أسرنا عساف ياجوري ودمرنا دباباته طلب مني كوبًا من الماء ، وأن يرى الجندي الذي دمّرَ دبابته .. فقال البطل المصري : " الحمد لله .. لقد أخذتُ بثأر قائدي البطل صلاح حواش وثأرتُ للشهداء الأبرار " ..

ويقول اللواء / محمد عبد الغني الجمسي رئيس العمليات بحرب أكتوبر ٧٣ في مذكراته : " لقد شعرتُ بالارتياح عندما تم إبلاغنا في مركز العمليات بنجاح معركة الفرقة الثانية مشاة بقيادة العميد / حسن أبوسعدة .. واتصلتُ به تليفونيًا لتهنئته على إنجاز فرقته ، وتبادلنا حديثًا قصيرًا امتدح فيه التخطيط وامتدحتُ فيه التنفيذ .. وقد أسعدني ما سمعته فيه عن الروح المعنوية لقوات الفرقة وإصرارها على هزيمة العدو " . وأصدر الفريق أحمد إسماعيل القائد العام للقوات المسلحة بيانًا للقوات المسلحة قال فيه : " يسعدني أن أبلغكم أن الفرقة الثانية مشاة قد تمكنت صباح اليوم من تدمير اللواء المدرع الإسرائيلي ١٩٠ ، وأُسر قائده خلال ٢٠ دقيقة كما تم تدمير ١٥٠ دبابة للعدو اليوم على المحور الأوسط ، وإني أحيي العميد / محمد حسن أبوسعدة وجنود وضباط فرقته فردًا فردًا

وأشد على أيديهم .. لقد علم العدو اليوم من هم جنود مصر ومن هم قادة مصر .. فعلى بركة الله ، واصلوا على بركة الله حققوا النصر لمصر ! " وعندئذٍ قال الرئيس الراحل محمد أنور السادات : " إن الذي قام بهذا العمل قائد من البراعم الجديدة اسمه حسن أبوسعدة " . وفي التاسع من أكتوبر أصدرت القيادة المصرية خمس بلاغات أُذيع أولها في الساعة العاشرة و٢٣ دقيقة صباحًا ، وأُذيع الأخير منها في الخامسة وثلاث دقائق مساءً ، وتضمَّنت البلاغات حصول القوات المصرية على الشاطئ الشرقي للقناة بالكامل وتدمير اللواء ١٩٠ مدرع الإسرائيلي بكامله وأسر قائده "عساف ياجوري" وتدمير ١٠٢ دبابة إسرائيلية .

لقد كانت هذه المعركة معركة عنيفة عكست بطولات رجال الفرقة الثانية مشاة وقدرتهم التدريبية الهائلة التي ظهرت في هذه المعركة وما تبعها من معارك الدبابات ، ومنهم :

الجندي محمد المصري :

محمد إبراهيم عبد المنعم المصري عُرف بمحمد المصري [1] أحد جنود اللواء ١٢٠ مشاة التابع للفرقة الثانية مشاة ، وكان جندي احتياطي (م . د) ، وهو أحد رجال جند مصر البواسل الذين أدُّوا عملهم على أحسن صورة

[1] ولد فى ١٩٤٨/٦/١م بأحدى قرى "ديرب نجم" بالشرقية ،والتحق بالجيش فى عام ١٩٦٩م بسلاح الصاعقة ليحصل على فرقة متقدمة ، ثم التحق بفوج الصواريخ التابع للصاعقة ثم التحق بالمظلات فى تشكيل كتائب الصواريخ المضادة للدبابات (فهد) .